

الحلقة السبعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

نتابع اليوم مستمعي تأملنا بحديث المخلص المسيح عن فرقة الفريسيين اليهودية المتمتة. وكنا قد اقتبسنا كلامه الذي كشف حقيقة نفوسهم، وكيف أنهم يتشدقون بمبادئ الشريعة ويطلبون من الناس تطبيقها، مع أنهم أول من يخالفوها. ولهذا دعا المسيح الناس أن يسمعوا لهم، ولكن حسب أعمالهم أن لا يعملوا. ثم تحدثنا عن بعض كلمات الويل التي بدأ المسيح بتوجيهها إليهم، وكيف أنهم يغلقون ملكوت السموات أمام الناس، ويأكلون بيوت الأرمال، ويطيرون صلواتهم. واتهمهم المسيح بالمرأة، إذ إنهم قد تركوا أهم ما في الناموس وهو الحق أي العدل، والرحمة والإيمان، واهتموا بمظاهر التدين فقط.

تابع المخلص المسيح حديثه قائلاً: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لَأَنَّكُمْ تَنْقُونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلِ مَمْلُوءَانِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً. أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّ الْأَعْمَى! نَقَّ أَوَّلًا دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجَهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا. وَيَلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لَأَنَّكُمْ تَشْبَهُونَ قُبُورًا مَبْيُضَّةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلَكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا» (بشارة متى ٢٣: ٢٥-٢٨).

سنأمل الآن بحديث المسيح الهام هذا فابقوا معنا.

صديقي المستمع، كنا قد تحدثنا في اللقاء الماضي عن معنى كلمة المرآئي، فقلنا إنه الشخص الذي يظهر على غير حقيقته، فهو كالممثل البار الذي يستطيع أن يمثل دوره بكل اتقان. ولهذا لم يكن غريباً أن يتهم المسيح الفريسيين بالمرأة. فهم بالحق مراؤون لأنهم يدعون أمراً هم أبعد الناس عنه. ولقد شبههم المسيح بحديثه الذي اقتبسناه قبل قليل بالكأس والصحفة، فكما أن الكأس والصحفة قد يبدوان من الخارج نظيفين، لكنهم من الداخل يكونان مليئين بالأوساخ، هكذا الفريسيون فإنهم يحرصون على إظهار أنفسهم من الخارج أنهم أبرار، مع أنهم في الداخل يكونون مملوئين اختطافاً ودعارة، أي بكل شر ونجاسة.

وشبههم المخلص المسيح أيضاً بالقبور المبيضة التي تظهر من الخارج أنها جميلة، لكنها من الداخل تحتوي على عظام أموات وكل رائحة كريهة أو نجاسة. وهنا وجّه المسيح كلامه لهم قائلاً: «هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أُبْرَارًا، وَلَكِنْكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَاتِّمًا». إنه بالحق كلام قاس جداً وجهه المسيح إلى أولئك الفريسيين المرئيين. فهم كانوا أناس مراؤون يحاولون الظهور بعكس حقيقة نفوسهم الشريرة من الداخل. ولم يكن غير المسيح المخلص من يقدر على فضحهم وبكل جرأة. فليس سهلاً أن يشبههم المسيح بالقبور المبيضة وبالكأس التي تبدو نظيفة في الخارج.

ولهذا دعاهم المخلص المسيح قائلاً: «أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّ الْأَعْمَى! نَقِّ أَوَّلًا دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّخْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا». فالفريسيون هم فعلاً عميان، لأنهم لا يريدون أن يروا حقيقة نفوسهم. ولهذا دعاهم المسيح لكي ينقوا أو ينظفوا نفوسهم أولاً من الداخل، لكي تصبح نظافتهم من الخارج حقيقية. أو ليس هذا ما يطلبه الله منّا جميعاً؟ أي أن ننظف نفوسنا أو قلوبنا أولاً من الداخل؟

أو ليس هذا ما تحدّث به المخلص المسيح في مناسبة أخرى إذ قال: «لَأَنَّ مِنَ الْقَلْبِ تَخْرُجُ أَفْكَارٌ شَرِّيرَةٌ: قَتْلٌ، زِنَى، فَسْقٌ، سِرْقَةٌ، شَهَادَةٌ زُورٍ، تَجْدِيفٌ. هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُجَسِّسُ الْإِنْسَانَ» (بشارة متى ١٥: ١٩-٢٠). إن الشرور تصدر إذن من قلب الإنسان أو من داخله، ولذا على الإنسان أن يطلب من الله أن يطهر قلبه أو داخله من الشرور، لكي يستطيع أن يعيش حسب مشيئة الله وإرادته. إن النظافة الحقيقية هي نظافة القلب أو الإنسان من الداخل، وليست نظافة الإنسان الخارجية، أو محاولته أن يظهر باراً من الخارج فقط.

مستمعي الكريم، هل تعلم أن التدين الحقيقي لا يكون بإداء الواجبات والفرائض الدينية، أو ممارسة الشعائر الدينية فحسب، لكنه يكون بتطهير القلب من الداخل؟ والسبب لأنه بمقدور الإنسان أداء الواجبات والفرائض الدينية، وممارسة الشعائر الدينية دون أن يبذل هذا من حقيقة نفسه الشريرة من الداخل. فكم من إنسان نراه يصلّي ويصوم ويحج إلى الأماكن المقدسة، ويعمل على ممارسة كل الشعائر الدينية، لكنه في نفس الوقت لا يستطيع الابتعاد عن ممارسة الشرور. والسبب لأنه مازال مكبلاً بقيود الخطيئة، وما زال الشر يستعبد حياته من الداخل كما قال المخلص المسيح. مع العلم أننا كلنا كبشر خطاة وعبيد للخطية.

لكن الأغرب من ذلك أن نرى الكثيرين من رجال الدين اليوم كالفريسيين الذين هاجمهم وفضحهم المخلص المسيح. أي يعيشون حياة المرءة إذ يُظهرون التدين، وأنهم أناس صالحون أمام الناس، لكنهم في الحقيقة يمارسون الشرور، لأنهم لم يهتموا بتطهير قلوبهم

من الداخل والحصول على النظافة الداخلية.

هل تعلم مستمعي أن الإيمان بالمخلص المسيح هو الذي يطهر القلب من الداخل؟ فالمسيح مات على الصليب لكي يكفر عن خطايانا، وقام من بين الأموات لكي يهب كل من يؤمن به الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة والخلود. ولهذا قال المسيح أنه علينا أن نولد ثانية من روح الله القدوس. إن الولادة الروحية الجديدة تعني أن الله يبدل نفوسنا من الداخل ويطهر قلوبنا من الخطية، ويجعلنا خليفة جديدة. لذا علينا أن نأتي إلى الله بتوبة صادقة عن خطايانا، وإيمان قلبي بالمخلص المسيح، وهكذا يغفر الله خطايانا، ويطهر قلوبنا من الداخل ويجعلنا خليفة روحية جديدة ومن أولاده.

فهل تود مستمعي أن تطهر قلبك من الداخل؟ أولاً تود أن تصبح إنساناً جديداً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح فيطهر الله قلبك من الداخل ويهبك الغفران الكامل عن خطاياك، وهكذا تصبح إنساناً جديداً تعيش حقاً ما تدعيه من مبادئ وقيم؟